أوروبا والسلام في الشرق الأوسط

د. سامي مسلّم

من الصعب جداً، في الحقيقة، التحدث عن دور، أو منهج، أو سياسة أوروبية منسقة تجاه المسألة الفلسطينية، سواء أعلى مستوى الدور الذي تقوم به اوروبا، من خلال اعمالها وبياناتها، أو على مستوى دور أوروبا في ايجاد حل للمشكلة الفلسطينية، أو على مستوى دور أوروبا في عقد مؤتمر دولي للسلام. والمشكلة تنبع، ببساطة، من اننا نتحدث عن «أوروبا» كما لو كانت هذه الحقيقة الجغرافية تشكل، بالفعل، كياناً سياسياً.

عن أي أوروبا نتحدث ؟ أوروبا البلدان الاشتراكية التي يقيم شعبنا ومنظمة التحرير الفلسطينية معها علاقات صداقة وتضامن جيدة جداً ؟ أم أوروبا البلدان المحايدة الأربعة، فنلندا والسويد والنمسا وسويسرا ؟ ولدينا علاقة جيدة جداً مع البلدان الثلاثة الاولى منها، بينما البلد الرابع يختبىء، بارتياح، وراء موقف «محايد» يعترف، بموجبه، بطرف واحد فقط من أطراف النزاع، هو اسرائيل؛ أم أوروبا التابعة لحركة بلدان عدم الانحياز، مثل يوغسلافيا ومالطا وقبرص، والتي نشترك معها نحن، كمنظمة التحرير الفلسطينية، في عضوية الحركة ذاتها، نتمسك بمبادئها ونشكل سياساتها من أجل رفاه الجنس البشري وشعوب البلدان النامية، هذه المبادىء التي تؤيد النضال العادل للشعوب المظلومة، وخصوصاً شعوب جنوب افريقيا، وناميبيا، وفلسطين، وتتمتع منظمة التحرير الفلسطينية بموقع نائب رئيس دائم لهذه الحركة ؟ أم اننا ـ حين نتحدث عن اوروبا ـ نتحدث، ببساطة، عن اوروبا الاثنتي عشرة، أي اوروبا السوق المشتركة، وعن الدول الاوروبية الأعضاء في حلف «الناتو» والتي تختلف مواقفها ازاء هذه الموضوعات ؟

اذا ما نظرنا الى أوروبا من هذه الزاوية، فاننا نستطيع، ايضاً، ان ننظر اليها من زاوية أخرى، أي من زاوية الأرضيات والكيانات السياسية، وأن نسأل: هل المقصود اوروبا التي تحكمها الاحزاب الشيوعية ؟ أم اوروبا التي تحكمها الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية ؟ أو الاحزاب والتحالفات الديمقراطية المسيحية المحافظة ؟ أم نتحدث عن أوروبا الصديقة، ذات القوى الاشتراكية والديمقراطية والتقدمية، والمنظمات والافراد في أوروبا الغربية التي يمثل تجمع منظماتها غير الحكومية انعكاساً وتعبيراً عن ذلك ؟

هذه القوى، بأحزابها ومنظماتها، ومنظماتها غير الحكومية، لها دور جوهري لتلعبه في التأثير في السياسات، وفي تشكيل الآراء حول موضوعي الشرق الاوسط وفلسطين. ونأمل في ان يتزايد هذا الدور في المستقبل القريب.

ان تقسيم، أو تصنيف، المسرح الاوروبي ليس تمريناً ذهنياً. انه بدرجة أهم، ضرورة تحليلية لكي نتمكن من فهم الدور الذي يمكن ان تلعبه اوروبا، سواء أموحدة كانت أم في تجمعاتها